سماحة الإسلام ونبذه لكل مظاهر العنف
3 من ربيع الآخر 1436هـ - 30 من يناير 2015م

أولا : العناصر :

1– الإسلام دين اليسر والسماحة.

2– من مظاهر السماحة في الإسلام:

أ– سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله عز وجل.

ب– سماحة الإسلام في يُسْر العبادات.

ج – سماحة الإسلام في المعاملات.

3– سماحة الإسلام في التعامل مع غير المسلمين.

4– أثر سماحة الإسلام في جوانب الحياة.

5– نبذ الإسلام للعنف .

ثانيًا : الأدلـة :

الأدلة من القرآن الكريم :

1- **قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [سورة البقرة:185].**

2- **وقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ}[آل عمران: 159].**

3- **وقال تعالى: {يرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً } [سورة النساء: 28].**

4- **وقال تعالى : {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ }[الممتحنة: 8].**

5- **وقال تعالى:{ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 43، 44].**

6- **وقال تعالى:{لا يُكلِّفُ اللهُ نَفْساً إلاَّ وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها مَا اكتَسَبَتْ} [البقرة:286].**

7- **وقال تعالى : {وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة:280].**

8- **وقال تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[البقرة: 256].**

الأدلة من السـنة :

1- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (رواه البخاري).

2- وعَنْ أَنَسِ بن مالك (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا) (رواه البخاري ومسلم).

3- وعَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِى بُرْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ (رضي الله عنهم) أَنَّ النَّبِيَّ (صلى الله عليه وسلم) بَعَثَهُ وَمُعَاذًا (رضي الله عنهما) إِلَى الْيَمَنِ فَقَالَ : « يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا » (رواه الشيخان).

4- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلاَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ...) (رواه أحمد).

5- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) عَنِ النَّبِىِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ». (رواه مسلم).

6- وعَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ» (رواه مسلم).

7- وعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ قَالَ : قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ ، قَالَ : « إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً » (رواه مسلم).

8- وعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) (رواه البخاري).

9- وعن أبي حُذَيْفَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ : قَالَ فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ) (رواه البخاري).

10- وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا) أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قَالَ : (رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) (رواه البخاري) .

ثالثًا : المــوضـــوع :

لما كان الدين الإسلامي خاتمَ الأديان فإن الله – عز وجل – ميزه بخصائص تؤهله لأن يكون دينًا صالحًا لكل زمان ومكان ، ومن أبرز تلك الخصائص وأجلها : السماحة واليسر في كل شأن من شئون الحياة.

إنه دين عظيم بأحكامه وتعاليمه ، يتميز بالسماحة في تعاليمه وفى تعاملاته ، سماحة في عقيدته وعباداته ومعاملاته وآدابه وسائر تشريعاته ، سواء مع المسلمين أم غير المسلمين ، فلم يَجبِر أحدًا على اعتناقه ، ولم ينتشر بحد السيف ، إنما انتشر بتعاليمه السمحة وأخلاق أتباعه النبيلة ، وانتشر بأخلاق النبي (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه من بعده ، مما يبرهن على أن الإسلام بريء من العنف والإرهاب والتطرف ، وأنه دين اليسر والسماحة والتلطف.

ولم تعرف البشرية نظاماً ولا ديناً اشتملت مبادؤه على السماحة واليسر كالإسلام ؛ لأن تعاليمه تتفق وطبيعة الإنسان ، لا حرج فيه ولا مشقة، ولا شدّة فيه ولا تعسير ، ومن ينظر في كتاب الله تعالى وفي سيرة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) يجد أن اليسر والسماحة من خصائص هذا الدين ، يقول الله سبحانه في كتابه العزيز: {يرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفاً} (النساء : 28)، ذلك ما أراده الله تعالى لهذه الأمة اليسر والتخفيف ، وتلك صفة الدين العامة ، قال تعالى: { يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} (البقرة : 185).

ويؤكد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على هذه المعاني في سنته الشريفة ، حيث أوصى باليسر والسماحة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، وَاسْتَعِينُوا بِالْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيْءٍ مِنَ الدُّلْجَةِ) (رواه البخاري). وعَنْ أَنَسِ بن مالك (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا) (رواه البخاري ومسلم).

وهكذا نجد أن تعاليم الإسلام التي جاء بها سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) سمحة ميسرة لكل إنسان ، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) قَالَ :قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : (إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ بِالْيَهُودِيَّةِ وَلاَ بِالنَّصْرَانِيَّةِ ، وَلَكِنِّي بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ ...) (رواه أحمد).

ومما لا شك فيه أن للسماحة والتيسير أهمية كبرى وأثرًا واضحا في سرعة انتشار الإسلام وارتفاع رايته ودوام بقائه بين الأمم والشعوب التي اعتنقته ، فالتاريخ يشهد بأن سرَّ انتشار الإسلام واعتناق الناس له ، ودخولهم في دين الله أفواجًا هو هذا المنهج الرباني المبني على السماحة واليسر ، وحسن المعاملة وعدم التعصب والتشدد ، أما صور التعصب الممقوت التي يُساء فيها إلى الإسلام ، والتي تتجاوز أصل

السماحة إلى الشدة والمشقة والعنت ، فإنها لا تدفع الناس إلى الدخول فيه ، بل تدفعهم إلى النفور منه ، أو التفريط في بعض تعاليمه.

وتفاديًا من الوقوع في هذا الجانب السلبي وصّى النبي (صلى الله عليه وسلم) معاذ بن جبل وأبا موسى الأشعري (رضي الله عنهما)حينما أرسلهما داعيَيْن إلى اليمن ، وقال لهما: « يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا ، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا ، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا »رواه الشيخان.

بهذه النظرة الإنسانية وما فيها من محبة وتسامح ساد الإسلام وارتفعت رايته ؛ لأنه جاء بما يتوافق مع فطرة الإنسان وبما جبلت عليه العقول السليمة من حب الخير للناس أجمعين، فليس – إذًا– في ثقافة الإسلام ولا تعاليمه ما يدعو إلى العنف والكراهية.

وتتجلى سماحة الإسلام في مظاهر كثيرة ، منها:

* السماحة في الدعوة إلى الله – عز وجل –: فالإسلام دين الناس قاطبة الذي ارتضاه الله لعباده فقال تعالى :{وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} [المائدة: 3]، وبه بعث الله كل الأنبياء ليُبلغوه للناس ، فهو أصل رسالتهم ، وإن اختلفت شرائعهم وأحكامهم ، فإنهم متفقون على أن الأصل الأول هو التوحيد.

ومن مظاهر سماحة الإسلام في الدعوة إلى التوحيد : أن الله تعالى امتنَّ على نبيه (صلى الله عليه وسلم) بالشفقة واللين ، فقال تعالى: {فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ }[آل عمران: 159].

ويتجلى هذا التسامح كذلك في مخاطبة أهل الكتاب بالأسلوب الراقي الجميل ، قال تعالى : { قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}[آل عمران: 64].

ويتضح هذا الأسلوب اللين السمح – أيضا– في أمر الله تعالى نبيَّيْهِ موسى وهارون (عليهما السلام) بالقول اللين لفرعون في دعوتهما له ، فقال تعالى : {اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: 43، 44]. ولذا قال الخليفة المأمون لما عنّفه واعظ : (يا رجل ارفق؛ فقد بعث الله من هو خير منك إلى من هو شر مني وأمره بالرفق).

وإلى هذا النهج رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) أصحابه بقوله : « إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ في شَىْءٍ إِلاَّ زَانَهُ وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَىْءٍ إِلاَّ شَانَهُ ».. رواه مسلم عَنْ عَائِشَةَ (رضي الله عنها)، بل دعا النبي (صلى الله عليه وسلم) لمن رفق بأمته بقوله: « اللَّهُمَّ مَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِىَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِى شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ ». (رواه مسلم) .

* كذلك تتجلى سماحة الإسلام ويسره في العبادات : حيث جاء بتنظيم العلاقة بين العبد وربه بالعبادات التي تزكي النفوس وتطهر القلوب ، والتي تمتازُ باليُسْرِ والسُّهولةِ ؛ لأنها مَشروطةٌ بالقُدْرة على

أدائها ، مع مُراعاةِ الحالاتِ المُختلفةِ عند القصور أو العَجْزِ ، وهذا مِن تَجلِّياتِ السَّماحةِ التي لا يُجارَى فيها الإسلامُ ولا يُبارَى، ولعلَّ مِن أشهر القواعدِ الفقهيَّة التي بُنيتْ عليها الأحكامُ التَّشريعيَّةُ (الضَّرُوراتُ تُبِيْحُ المَحْظُوراتِ) ، و(لا ضَرَرَ ولا ضِرارَ).

وقد حافظ الإسلامُ على وصف السَّماحة لأحكامِهِ ، وأقامها على التَّيسير ورَفْعِ الحَرَج ودَفْعِ الضَّرَر، مُنْتهِجاً فيها أُصولَ التدرُّج في التَّشريع، مُراعاةً للطَّبيعة البشريَّة ، مُشرِّعاً مِن التَّكاليف ما تَحتمِلُهُ طاقةُ المُكلَّف ، وذلك مِن سماحة الدِّين واعتِدالِهِ ووَسَطيَّتِهِ ، قال تعالى:{لا يُكلِّفُ اللهُ نَفساً إلاَّ وُسْعَها لها ما كَسَبَتْ وعليها مَا اكتَسَبَتْ}[البقرة:286].

* وإذا كان هذا هو الحالُ في العباداتِ فالنَّاسُ في المُعاملاتِ أحوجُ إلى السَّماحةِ واليسر ، لذا جاء الإسلام بتنظيم المعاملات بين البشر بعضهم لبعض ، ليعيش الناس في أمن وعدل ورخاء ، ومن سماحة الإسلام وتيسيره أنه جعل الأصل في المعاملات الإباحة إلا ما دلَّ عليه الدليل ، والمُعاملاتُ الماليّةُ لها صُوَرٌ كثيرةٌ ومُتعدِّدةٌ، منها مُعاملاتُ البيع والشِّراء والدَّيْنِ والقُرُوضِ وغيرِ ذلك.

ففي البيع والشراء حث النبي (صلى الله عليه وسلم) على السماحة ، حيث قَالَ : (رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ وَإِذَا اشْتَرَى وَإِذَا اقْتَضَى) (رواه البخاري) ، ففي الحديث : حث على السماحة في المعاملة واستعمال مكارم الأخلاق وترك المشاحنة ، والحض على ترك التضييق على الناس في المطالبة وأخذ العفو منهم. فينبغي أن يكون المسلِمُ سَمْحًا في بيعه وشرائه.

ومن سماحة الإسلام: أنه راعى المصالح والظروف، ورفع المشقة والحرج عن الناس في البيوع ، إذ قد يقع البيع فجأة من غير تأمل ولا نظر، فيحتاج المتبايعان أو أحدهما، إلى التريث والتروِّي في أمره، من أجل ذلك أعطى الإسلام طرفي البيع فرصة ومهلة للنظر في مصلحتهما من تلك الصفقة ؛ فشرع لهما الخيار في البيع ، لاختيار ما يناسب كلاً منهما من إمضاء البيع أو فسخه ، فعن حكيم بن حزام (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : " البيِّعان بالخيار ما لم يتفرَّقا ، أو قال:حتى يتفرقا ، فإن صدقا وبَيَّنا بُورك لهما في بيعهما، وإن كتما وكذبا محقت بركة بيعهما ".(رواه البخاري).

كما حثَّ الإسلام على السماحة في القرض وإنظار المعسر ، قال تعالى :{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}[البقرة:280]. وفي ذلك يقول (صلى الله عليه وسلم) : « مَنْ أَنْظَرَ مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ عَنْهُ أَظَلَّهُ اللَّهُ في ظِلِّهِ ».(رواه مسلم).

كذلك رغَّب النبي (صلى الله عليه وسلم) في التجاوز عن المعسر ، فعن أبي حُذَيْفَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم): (تَلَقَّتِ الْمَلاَئِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا ؟ قَالَ : كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ ، قَالَ : قَالَ فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ) (رواه البخاري).

وفي صحيح مسلم ، عَنْ أَبِى مَسْعُودٍ الأنصاري (رضي الله عنه) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ شَىْءٌ إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ ، وَكَانَ مُوسِرًا ، فَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُعْسِرِ ، قَالَ : قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : نَحْنُ أَحَقُّ بِذَلِكَ مِنْهُ ، تَجَاوَزُوا عَنْهُ ».

* وكما راعى الإسلام السماحة بين المسلمين ، راعى السماحة في معاملة غير المسلمين ، فلم تقتصر سماحته على المسلمين فحسب، بل شملت غير المسلمين ، حتى في حالة الحرب، فنهى عن قتل الأطفال، والنساء، والشيوخ، والعجزة، فعن بريدة (رضي الله عنه) قال: كَانَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ، وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ – أَوْ خِلَالٍ – فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَإِنْ أَجَابُوكَ، فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ،)(صحيح مسلم).

ومن صور السماحة في الإسلام: أنه كفل الحرية لكل فرد، فلا إكراه لأحد في دخول الإسلام إلاّ بعد القناعة التامة بهدايته، قال تعالى:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ}[البقرة: 256].

كذلك من صور سماحة الإسلام مع غير المسلمين: أنه حرّم التعرض بالأذى – بالقول أو الفعل – لكل معاهد أو مستأمن دخل ديار الإسلام ، ووعد وأغلظ في العقوبة لمن تعرض لهم بالأذى ، فقد روى البخاري في صحيحه عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) عَنْ النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) قَالَ : (مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا لَمْ يَرِحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَاماً).

وكذلك من صور سماحة الإسلام مع غير المسلمين: أنه أوجب على المسلمين سلوك العدل في التعامل مع غيرهم ؛ ولم يجعل عدم دخولهم في الإسلام سبباً في ظلمهم أو خيانتهم ، كما قال تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}[المائدة: 8].

ولو تتبعنا سيرة النبي (صلى الله عليه وسلم) لوجدنا فيها ضروبًا من التسامح والموادعة فكان (صلى الله عليه وسلم) مثالاً للكمال البشري في حياته كلها ، مثالاً للكمال في علاقته بربه ، وفي علاقته بالناس كلهم بمختلف أجناسهم وأعمارهم وألوانهم ، مسلمين وغير مسلمين.

وقد تجلّت روح التسامح عند النبي (صلى الله عليه وسلم) يَوْمَ الْفَتْحِ حين قال: « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَلْقَى السِّلاَحَ فَهُوَ آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ ». (مسلم).

وما أروع قوله (صلى الله عليه وسلم) يوم الفتح لمن ناصبوه العداء وكانوا حربا على الدعوة : " اذهبوا فأنتم الطلقاء" .

وقد أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بالقبط خيرًا ، حيث قال: «إِذَا فَتَحْتُمْ مِصْرَ فَاسْتَوْصُوا بِالْقِبْطِ خَيْرًا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا» (رواه الطبراني في المعجم الكبير) . وفي صحيح مسلم عن أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): « إِنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أَرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا الْقِيرَاطُ فَاسْتَوْصُوا بِأَهْلِهَا خَيْرًا فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا ».

لم تكن هذه الأخلاقُ العظيمةُ في الإسلام شِعاراً فَضْفاضاً ، ولا قِيَماً خاليةً مِن مَضامِينها الإنسانيَّةِ ، بل كانت حركةً نابضةً بالحياة جَسَّدَها الرَّسولُ الكريمُ (صلَّى الله عليه وسلَّم) في قُدوَتِهِ لنا بصورةٍ مُضيئةٍ ، فقد آذته قريشٌ في معركة أُحُد ، وجمعت جهدَها لقتْلِهِ ووَأْدِ دعوتِهِ، وخرج من المعركة جريحاً وقد كُسِرت رَباعيَّتُهُ وشُجَّ وجهُهُ الكريمُ، فقيل له: يا رسولَ الله ادْعُ على المُشركين، فقال:« إنِّي لم أُبْعَثْ لَعّاناً وإنَّما بُعِثْتُ رحمةً»(رواه مسلم).

إنَّ رحمتَهُ (صلَّى الله عليه وسلَّمَ) وشفقتَهُ العظيمةَ وسماحَتَهُ القلبيَّةَ هي التي تغلِبُ في المواقف العصيبةِ ، التي تبلغُ فيها المُعاناةُ أشدَّ مراحلِها ، وهذا ما بَرزَ واضحاً حين ذهب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إلى الطائف يدعو الناس إلى الإسلام ، إلا أنهم رموه بالحجارة وأدموا قدمه الشريفة، فرجع (صلى الله عليه وسلم) و هو مهموم ، فأرسل الله تعالى له جبريل (عليه السَّلامُ) ومعه ملك الجبال ، فقال له جبريلُ : (إنَّ اللهَ قد سمِعَ قولَ قومِكَ لكَ وما ردُّوا عليكَ ، وقد بعثَ اللهُ إليكَ مَلكَ الجِبالِ لتأمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فناداني ملك الجبال فسَلَّمَ عليَّ، ثمَّ قال: يا مُحمَّدُ ! إنْ شِئتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ الأَخشَبَيْنِ. فقال النَّبيُّ (صلَّى الله عليه وسلَّم): (بل أرجو أن يُخرِجَ اللهُ مِن أصلابِهِم مَن يعبُدُ اللهَ وحدَهُ لا يُشرِكُ به شيئاً) (متفق عليه). هكذا نظر رسول الله إلى قومه بنور الإسلام وسماحته.

وعلى نهجه (صلى الله عليه وسلم) سار الصحابة (رضي الله عنهم) ، فهذا أبو بَكرٍ الصِّدِّيقِ (رَضِيَ اللهُ عَنهُ) كَانَ يُنفِقُ عَلَى مِسطَحِ بنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنهُ وَفَقْرِهِ – فَلَمَّا وَقَعَ المُنَافِقُونَ في عِرضِ ابنَتِهِ عَائِشَةَ الصِّدِّيقَةِ (رَضِيَ اللهُ عَنهَا) وَكَانَ مِسطَحٌ فِيمَن وَقَعُوا– قَالَ الصِّدِّيقُ: وَاللَّهِ لاَ أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ ، فَأَنزَلَ اللهُ تَعَالَى:{وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ }[النور:22] فَقَالَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ: "بَلَى وَاللهِ، إِنِّي لأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لِي ، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لاَ أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا"(صحيح البخاري).

إِنَّ أَعظَمَ السَّمَاحَةِ وَأَعلَى دَرَجَاتِهَا، أَن يَتَسَامَحَ المَرءُ مَعَ مَن أَسَاءَ إِلَيهِ، أَو جَحَدَ فَضلَهُ وَنَسِيَ مَعرُوفَهُ.

تلك نماذج من صفحات التاريخ الإسلامي ، والتي تنم عن يسر الإسلام وسماحته، وكم لها من آثار تؤدي إلى المحبة والتآلف ، وإلى جانب هذه السماحة وهذه العظمة الحضارية ينبذ الإسلام كل مظاهر وألوان العنف والتطرف والهدم والتخريب .

إننا بحاجة إلى خلق السماحة نطهر بها أنفسنا من الغِلّ والشحناء. والمنازعة والبغضاء، ونرسم في مجتمعاتنا شعائر المحبّة والإخاء ، حتّى إذا أصرّت فئة أو طائفة على خلاف ذلك وجدت في مجتمع المؤمنين رفضا عمليا لأخلاق الجفاء، واستنكاراً جماعيا لموارد الهلكة والشحناء.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم